**الأستاذ الدكتور الهواري بلقندوز**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

**جامعة سعيدة**

**مادة النحو الوظيفي**

**السنة الثالثة ليسانس/ تخصص لسانيات عامة**

**المحاضرة الثالثة:**

**موضوع البحث في حقل نظرية النحو الوظيفي**

**1- القدرة التواصلية ورهانات التجديد:**

إن حديث تشومسكي عن الإنجاز اللغوي هو حديث تجريدي مصورن يقتصر على التحليلات التقنية ولا يراعي الاستعمال الخلاق للغة، إذ يتصور من جهة،اللغة عبارة عن مجموعة من الجمل اللغوية التي تنحصر وظيفتها في التعبير عن الفكر**، و** أن هناك استقلالا بين وصف اللغة والأوضاع التي تنجز فيها، و يركز من جهة أخرى على أن دراسة القدرة من حيث أسبقيتها المنطقية و المنهجية على دراسة الانجاز. وتأسيسا عل ذلك فإن كل النظريات التداولية من فيتجنشتاين إلى س. ديك جاءت بمثابة رد فعل على صورنة اللغة الطبيعية وتجريديتها مثل أنموذج هاريس الرياضياتي، وأنموذج يلمسليف المنطقي، وتجريدية بلوم فيلد، وأنموذج الأنحاء الصورية عند تشومسكي. كل هذه النماذج غيبت الطابعين الخلاق والحيوي للغة.

ومن ثمة سجلت اعتراضات هايمز 1973/1982 على أطروحات تشومسكي 65/70 في مستوى الوصف التجريدي للجمل معزولة عن السياق السوسيوثقافي تصورا جديدا يقضي بوجود قدرة تداولية إلى جانب القدرة النحوية التي تتضمَّنُ القواعدَ النّحويّةَ (الصّوتيّةَ الصّرفيّةَ، والقواعدَ التَّركيبيّةَ،والقواعدَ الدّلاليّة**)**عند تشومسكي، وتضافرهما معا يشكل ما يسمى بالقدرة التواصلية.

يبدو أن المقاربة الوظيفية هي مقاربة للإنجاز لا تهتم بوصف القدرة التجريدية للنظام اللساني، بل تركز اهتمامها على القدرة الاستعمالية في التواصل انطلاقا من أن اللغة بنية وأداة في الآن نفسه. وعليه يتحدد موضوع الدرس اللساني في نظرية النحو الوظيفي في وصف القدرة التواصلية للمتكلم/المخاطب. ويبدو أن هذه النظرية لم تقف عند وصف القدرة التواصلية فحسب، بل وسّعتها بالأخذ في عين الاعتبار طاقات ومعارف أخرى، إضافة إلى الطاقة والمعرفة اللغوية (النحوية)([[1]](#footnote-1))، وذلك من خلال نموذج مستعمِلي اللغة الطبيعية في الخطاب. وفي هذا السياق أشار المتوكل إلى مجموعة من المبادئ المنهجية التي يتأسس عليها البحث في حقل هذه النظرية هي:

* وظيفة اللغات الطبيعية الأساس هي التواصل
* النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية
* يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية اللسانية بوصفها ضوابط للوصف اللغوي، هي:

\* الكفاية النفسية

\* الكفاية التداولية

\* الكفاية النمطية

**2- ضوابط الوصف اللغوي:**

يميز الوصف اللغوي للقدرة التواصلية عند المتخاطبين بين ثلاثة أنواع من الضوابط نصطلح عليه مبدئيا بالكفايات (القدرات)، تضم كل كفاية قالبين على الأكثر نصطلح على كل منها بالملكة بوصفها أنموذجا قالبيا مصغرا للضابط العام( الكفاية ) . بإمكاننا أن نحدد التمفصل العام لاشتغال هذه الضوابط مع قوالبها الجزئية على النحو الآتي:

**الملكة الإدراكية**: تمكّن مستعمل اللغة من إدراك محيط الكلام بواسطة استخدام المعارف التي يستقيها من مواقف التواصل ذاته في إنتاج العبارات والجمل اللغوية، وفي فهمها.

**الكفاية النفسية**

**الملكة المعرفية**: التي تمكّن مستعمل اللغة من تكوين رصيد معرفي منظم من المعارف اللغوية وغير اللغوية، مع ضرورة توظيفها في إنتاج وتفسير وفهم العبارات والجمل اللغوية.([[2]](#footnote-2))

**الملكة اللغوية**: تمكن مستعمل اللغة من أن ينتج ويؤول عبارات لغوية معجما وصوتا وصرفا وتركيبا في مواقف تواصلية محددة.

**الكفاية التداولية:**

**الملكة الاجتماعية**: تعمل على ضبط كيفية التواصل من جهة تمكين مستعمل اللغة من ضبط وضع مخاطبه الاجتماعي ، وما يقوم بينهما من علاقات أثناء التواصل طبقا لمقامات محددة من أجل تحقيق أهداف تواصلية معينة.

**الكفاية النمطية:** تحددانطلاقا من **الملكة المنطقية** التي تتيح لمستعمل اللغة من اشتقاق معارف إضافية انطلاقا من معارف متوفرة لديه بواسطة قواعد المنطق الاستنباطي والاحتمالي.

والجدير بالذكر أن نظرية النحو الوظيفي قد سعت إلى إعادة تشييد مبادئ النظريات الوظيفية التي تتعلق بوظيفة اللسان الطبيعي، وعلاقة الوظيفة بالبنية، ومفهوم الملكة اللغوية، ومفهوم الكليات اللغوية ، وعلاقة الوظيفة بموضوع الوصف اللغوي ، وعلاقة الوظيفة بالمفاضلة بين الأنحاء [[3]](#footnote-3) مع ربطها بمفهوم الكفايات الثلاث (النفسية، والتداولية، والنمطية). وفي هذا السياق يجدر بنا أن نعرج على مفهوم هذه الكفايات لدى مؤسس نظرية النحو الوظيفي س ديك.

يحدد س ديك مفهوم الكفاية النفسية في ما نصه: "تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج ، ونماذج فهم تُحدد نماذج الإنتاج : كيف يبنى المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تُحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها ، وعلى النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاءة النفسية أن يعكس بطريقة أو بأخرى ثنائية : الإنتاج/الفهم هذه"[[4]](#footnote-4)

ويحدد الكفاية النمطية بقوله: "يزعم المنظرون للسان الطبيعي أن بإمكانهم حصر الاهتمام في لغة واحدة، أو في عدد من اللغات فيما يقارب التنميطيون اللغة مقاربة محايدة نظريا تعتمد منهجا استقرائيا شبه تام. إن الدراسة التنميطية لا تكون ذات نفع إلا إذا أطرتها مجموعة من الفرضيات النظرية ولا تكون النظرية اللسانية في المقابل ذات جدوى ، إلا إذا كشفت عن مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النطاق"([[5]](#footnote-5)).

كما يحدد الكفاية التداولية بقوله:"على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات ، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي ، يعني هذا أنه يجب ألاّ نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة ، بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن في إطار سياق تحدده العبارات السابقة ، وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب" [[6]](#footnote-6).

كل هذه الملكات متضافرة تشكل التصميم الكلي للقدرة التواصلية بوصفها قدرة شاملة وموحدة، وكل متكامل لا يتجزأ؛ هذا الكل يمتد عبر خريطة الاستعمال اللغوي من المجال النحوي إلى المجال التداولي[[7]](#footnote-7). وقد يكون من المفيد الإشارة إلى أن فرضية توحيد القدرة التواصلية ورفع خاصية التجزيء عنها أمر ينسحب على جميع أنواع الخطاب من مثل(العادي، الفني)، وأنماطه من مثل (السردي، الوصفي، الشارح، الحواري، الحجاجي).

في رحاب هذه الرؤية الشمولية والتجريدية في الآن نفسه، يتسنى للنحو الوظيفي الموحد بجهازه المفاهيمي الكلي أن يضطلع بوصف خصائص الخطاب الطبيعي وتفسيره بمختلف أنواعه وأنماطه ضمن استرايجية نحوية جديدة تنعت بالنحو القالبي.

1. ــ ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية ط: 01، 1427هـ 2006م، ص: 45.

   . [↑](#footnote-ref-1)
2. 3 ــ ينظر تلك الملكات في: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، المملكة المغربية، ط: 01، 1993م، ص: 8 ــ 9، والخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط: 01، 1431هـ ــ2010م، ص: 13 ــ 15. [↑](#footnote-ref-2)
3. 4 ــ ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط: 02، 2010م، [↑](#footnote-ref-3)
4. ــ سيمون ديك نقلا عن أحمد المتوكل ، المنحى الوظيفي المصدر السابق ،.ص: 66. [↑](#footnote-ref-4)
5. ــ المصدر نفسه، ص: 68. [↑](#footnote-ref-5)
6. ــ سيمون ديك نقلا عن أحمد المتوكل ،المصدر السابق، ص: 64. [↑](#footnote-ref-6)
7. - ينظر أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط/ المغرب، ط1، 2003، ص 20. [↑](#footnote-ref-7)